روايه — ادبيه — [illegible] — غراميه



تطلب من مكتبة التقدم التجاريه ومطبعتها رقم ١٠ و ٧ بدرب العنبه

رواية

في سبيل الحرية

روايه - أدبيه - تاريخيه - حربيه - غراميه

بقلم

الكاتب التركي الاشهر

أحمد مدحت بك

تعريب

الكاتب الاجتماعي المعروف

محمود كامل فريد

الطبعة الثانيه سنة ١٩٣١

يطلب من مطبعة ومكتبة التقدم التجارية

بحارة العنبة نمرة ١٠ و ٧ بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها فهمي يوسف

مطبعة التقدم التجارية

[illegible]

مقدمه

هذه الروايه من الروايات النثريه الفياضه التى تعمر مشاعر القارىء
بسيل من الحوادث والمزعجات . سيما عواطف الحب والغرام
والسياسة بما يتخللها من غرائب الوطنيه المشفوعه بالحريه التى تدفع
به عند تلاوة سطورها. فتثير فى نفسه الواجده عاطفة الحب للبشر
وان يجد فى قلبه حقداً عميقا على هؤلاء الذين عبثوا بالقانون
وضربوا الوطنيه عرض الحائط وقبضوا على زمام الحكم بيد من حديد
وتمثل العظمة والعبقريه بمنتهى مفاخر الشجاعة فى نفوس هؤلاء
الأبطال الذين وقفوا فى وجه الحاكم بامره السلطان التركى عبد الحميد
الثانى وانزلوه عن عرشه وخلعوه من الملك . وجعلوا الآستانه
مرسحا للحوادث والمدهشات . ومهما كان من أمر هؤلاء ألابطال
فن العاقل يجدله عذرا على ماصنعوه
وبالجمله فان هذه الروايه من الغرائب المدهشه التى يجب على كل
فرد ان يطالعها باهتمام والسلام

محمود كامل فريد

الفصل الاول

(غرام في الطريق)

تبتدىء حوادث هذه الروايه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر اغسطس (سنة ١٩٠٩ ميلاديه) حيث كان الضابط محمد ناظم بك ابن ناظم باشا رفعت عائداً من ميدان التمليم بعد ان انتهت قوات الجيش من المرابض فى ضواحى الاستانه من ضرب النار . وعادت فرقته الى المعسكر لتستريح من عناء هذا اليوم . أبصر فى طريقه فتاة حسناء لم تقع عين ابن آدم على ابدع منها شكلا . ولا اكمل منها جمالا . تختال فى مشيتها كأنها قضيب البان .. وفى وسط الزحام الذى اربك حركة المرور على الكوبرى الكبير . غابت من بين هذا الجمع الحاشد فأخذ يبحث عنها فلم يجدها . وبعد ان اعياه التعب عاد الى قصره وهو يشعر بغرام شديد يدفعه وجدان قوى لرؤية هذه الفتاة مرة ثانية . فكان يتخيلها فى نومه . فى يقظته . فى انفراده فى خيمته . وقت تمرين الجيش على الحركات العسكريه حتى كاد هذا الحب ان يلعب بعقله . ومكث مدة طويله على هذا الحال لا يستقر له قرار ،

وكان ناظم بك يشغل وظيفة يوز باشى فى الاورطه السابعة المشاة

وهو فتى وسيم الطلعه ، معتدل القوام حسن الهندام . بدرجة تستهوى القلوب . وتستأسر مهج الكواعب الحسان ... ورغم هذا الحب الذى علق به كان ملتفتا لواجباته العسكريه التى كان يقدسها وكان يشتغل بها عن كل شاغل آخر

وكان الفتيات من بنات الاسر الكريمة يتهافتن عليه وتتمنى كل فاتنه منهن ان يخلص لها هذا الضابط النبيل بنظرة حب وانعطاف

وكانت تظهر فى نفسيه هذا الضابط دلائل العظمة والشهامه فكان يترفع عن حب فتيات لا يميل اليهن ولا يستطيع ان ينظر الى جمالهن بعد ان فتنه جمال تلك الفتاة التى سحقت قلبه واحترقته بنيران حبها

وكان رغم هذا الحب حائز لرضاء جميع الرؤساء حتى جعلوه موضع تقرير واعجاب

ولقد كان فى هذا الحين الامير الاى عادل ذهنى بك اركان حرب الفيلق الثانى عشر يقطن بأسرته فى قصره الفخم الكائن على ضفاف البسفور وتحاط به حديقه غناء تكتنفها المزارع والرياض . حتى السائر فى طريق هذا القصر انه فى جنه الخلد التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وللامير الاى ذهنى بك هذا زوجه فاضله مدبره لم تتوسط الحلقة الرابعة من سنى حياتها . وابنه حسناء يقال لها وسيمه هانم بلغت منتهى الرقه واللطف واستولى على شطر كبير من محاسن

الجمال الفتان ـ تبلغ من العمر سبعة عشر عاما . ترتع وتلعب فى نعمة والديها لاتفهم معنى الحياه ولاتعرف ماهو الحب وكان والدها يحبها حباً لا مزيد عليه ولا يستطيع الخروج من قصره دون أن يراها وكانت هى أيضاً تحترم هذا الوالد وتقدس واجباته الابويه بعد هذه المقابلة بثلاثة أشهر . خرجت قوة الجيش لعمل استعراض هائل وخرج اليوزباشى محمد ناظم بك بالقوه العسكريه التى تحت أمرته ليحتل الخنادق المحاطة بالاسوار حتى يـتركن جنود الفيلق الثانى عشر من تأدية واجب طابور الاستعراض وتصادف مروره من قصر الامـير الاى عادل ذهنى بك ـ وما كاد يرفـع رأسه ليرى عظمة القصر الشامخ . حتى تراجع الى الوراء مذعورا وارتعدت فرائصه وصار فى ذهول عجيـب ـ ثم تملك روعه وقال ويلاه ماهذا . . . هى تلك التى يتمنى هواها .

وفى تلك الآونه تقابلت نظراتهما فكانت تتكلم بأشارات الحب وهى فى صمت رهيب

وابتهج الضابط الفتى بمقابلة هذه الحبيبه كانه عثر على ضالته المنشودة وسار فى طليعة الجند وهو مغتبط طروب

وفى مساء هذا اليوم انتهت الاستعدادات الحربيـه وكان الاستعراض بالغاً غاية الاتقان حتى أن وزير الحربيه العثمانية أثنى

على شهامة الضباط وشكر لجميع وحدات الجيش شجاعتهم وبسالتهم النادرة - وقال ضمن خطاب له - أن نشاط الجيش الشاهانى بلغ غاية سامية تفوق كل حركات جيوش العالم

ولما عاد الى الثكنات الحربية أصدر الفريق قاسم باشا أمراً عالياً براحة الجنود ثلاثة أيام تبتدىء من صباح غد

وفى صباح اليوم التالى - امتطى الضابط ناظم بك صهوة جواده وخرج من المعسكر كالشارب الثمل بملابسه العسكرية الوهاجه ذات الاشرطه الحمراء . والقياطين الذهبيه . والناس تقف أمامه فى شوارع المدينه تحييه تحية إجلال واكبار ... فكان يرد عليهم هذه التحيه بلطف ويبتسم لهم وهو فى منتهى التيه والدلال ... وبعد نصف ساعة وصل الى قصر الامير الاى عادل ذهنى بك ودار حول السور وهو فى شغف شديد . وصار يتأمل نوافذ القصر بفضول غريب عساه أن يرى فتاته الحسناء

ولما لم يجدها - ذهب الى ناحية المزارع وترجل عن جواده وتركه يرعى فى هذا المكان الخصيب

الفصل الثانى

(المقابـله)

واتجه ناحية الاكواخ القديمة الـكائنه على ضفاف الماء تحت أشجار الحديقه التى كانت تنهدل عليها الاغصان وتكاد أن تحجبها عن الانظار . وما كاد يلج باب أحد هذه الاكواخ حتى وقف مبهوتا . يتأمل محاسن جمال فتاته الحسناء . وكاد أن يسجد بين يدها ـ وقال ـ عفواً سيدتى . لم أكن والله أقصد هذه المباغته . ومن يدرانى فربما اكون قد كدرت عليك صفو هذه الوحده وكانت هذه الفتاة هى وسيمةهانم كريمةالامير الاى عادل بك التى رآها فى الطريق وهام بجمالها وهى التى حضر لاجلهاليراها ويتمتع بمحاسنها *** وما كادت تراه حتى وقفت مبهوته . وعلتها حمرة الخجل فتورد خداها . وانحنت أمامه وقالت ـ مولاى . بك أهلا وسهلا

فمد اليها يده مصافحا وقال ـ أظن ان هذه المرة الثالثه التى رايتك فيها ؟

فابتسمت وسيمه هانم وقالت — ربما ولـكننى اعلم ان هذه هى المرةالثانيه

فقال . ان المرة الاولى — كانت على الكوبرى الكبير وقد

حجبك عنى زحام الناس

فضحكت ضحكه لطيفه هادئه وقالت — ربما

ثم جلس واجلسها بجانبه — وظلا صامتان فى سكون طويل قطعته الفتاة بقولها — ولاى سبب شرفت هنا يامولاى — هل جئت برساله الى والدى

اجاب الشاب وهو يبتسم - لا يامولاتى . انما اتيت لتأدية رساله حب شريف . لغادة حسناء . لا مثيل لها بين بنات حواء فنظرت اليه الفتاة بعينيها الواسعتين الجميلتين وقالت بفضول - من هى هذه الحسناء يا مولاى ؟ ... وأدرك الضابط ما يجول فى نفس الفتاة فقال . انت غاية قصدى وما جئت الى هنا الا لاراك لانك من اول مره رايتك فيها علمت انى اسير حبك وانت من غير شك قد ملكت فؤادى واستأثرت بمشاعرى ووجدانى وكل عواطف النفس

فأخذت الفتاة تتأمل فى محاسن هذا الضابط فراق لها جماله وشعرت بحماسة غريبه لاعهد لها بها من قبل وقالت. مولاى الضابط هل تعلم أننى عذراء. وانى تحت حمايه والدغيور . هو والله افظع مخلوق على الارض . ويالالداهية الدهماء اذا رآنا معاً انه ولا بد قاتلى وقاتلك لامحاله

فأطرق الضابط وقال ـ سيان عندى الموت والحياة فى سبيل حب شريف طاهر مقدس · وكم يكون سرورى عظيما اذا قتلت فى سبيل غرامك

فقالت الفتاة ـ يلوح لى ياسيدى الضابط انك شهم شريف . لا تريد غير الزواج بفتاة تصطفيها لنفسك تشاطرك بأساء الحياة وأينها

فقال ـ هو ذاك يامولاتى

وساد بينهما سكوت طويل قطعته الفتاة بقولها ـ والى أى الاحزاب تنتمى ؟ (١)

ففطن الضابط الشاب الى ماأشارت به هذه الحسناء وعلم انها تعرف الكثير من سياسه الدوله فقال ـ

---

(١) كانت تركيا فى هذا الحين مصابه بالقلاقل والثورات يهدد كيانها ثلاثة احزاب هم حزب تركيا الفتاه الذى أنشأه مصطفى فاضل ابن ابراهيم باشا المصرى فى عهد السلطان عبد العزيز سنه ١٨٦٥ ولما يزل أثر هذا الحزب يتوعده السلطان برأى جماعه من عقلاء الامه فهاجر مصطفى باشا الى باريس ولحق به الى جماعه من أفاضل الدوله وظل الحزب يعمل حتى خلع السلطان عبد العزيز وارتقى سدة الخلافه السلطان مراد سنه ١٨٨٦

لم أكن مجنونا : ولم اكن من اولئك الذين استولى عليهم الطيش فركنوا الى الاحزاب وهى اعمال تؤول الى الفوضى ـ وتعود بالدوله الى الدمار والاضمحلال ـ فحملقت فيه الفتاة بعينها الواسعتين وقالت عجبا كيف تقول ذلك مع ان والدى الامير الاى عادل بك ذهنى ضمن أعضاء جمعيه الاتحاد والترقى (٢) وهو رجل عظيم من عظماء تركيا ومن ابناء البيوتات الكبيره وهل ضابط فى الجيش لم يكن ابدا فى وقت من الاوقات . تميل الى السلطان عبد الحميد الثانى وأراه يحقد عليه كل الحقد

فقال الشاب ـ لكل انسان غرضه الذى يطمع فيه . أما أنا فلا أريد ابداً اتقيد برأى ولا أدخل تحت راية حزب من هذه الاحزاب فدعينا من السياسة الآن

ثم غير لهجته وقال ـ ماهو اسم مولاتى حتى أحفظه فى

---

(٢) « جمعية الاتحاد والترقى » وهى التى قام زعماؤها بخلع السلطان مراد ـ وتنصيب السلطان عبد الحميد الذى اخذوا عليه العهود والمواثيق ان يكون امينا على مصالح الامه وأن يعيد اليها دستورها ـ وكان من رؤساء هذه الجمعية مدحت باشا وغيره حزب الاتحاد الحميدى ـ وهو الحزب الذى كان يعمل لارادة السلطان ليقضى على جمعية الاتحاد والترقى

اعماق نفسى ولا أنساه

فقالت بدلال وهى تنظر اليه نظرة اعجاب وافتتان ـ انا . وسمة عادل .

فقال ـ انعم بك من حسناء . سأعود اليك فى وقت قريب واستودعك الله الى اللقاء

ثم انحنى أمامها مسلما ـ وخرج من الكوخ يترنح من نشوة الحب ـ فشيعته بنظرها الحب . وابتسامة الارتياح ـ وتمتمت قائلة ـ بالك من ضابط جميل باسل . ليت تركيا أنجبت منك الوفا

الفصل الثالث

(العظمة والمجد)

(السلطان عبد الحميد الثانى) ـ خليفة الاسلام فى كافة بقاع المسكونة ـ ولد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ ميلاديه وارتقى العرش فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٧٦ ميلاديه وهو ابن السلطان عبد المجيد

جلس على عرش آل عثمان بعد أن قام حزب تركيا الفتاة بخلع السلطان مراد الذى لم تطل مدة حكمه وتفاوض معه أعضاء الحزب بلسان رئيسهم مدحت باشا أن يكون وكيلا على الملك لمدة معينة ـ وبعد مدة اشترطوا عليه انه اذا نصبوه سلطانا وجلس

بمساعدتهم على عرش المملكة العثمانيه أن ينشيء مجلس الامة ـ وبعيد اليها الدستور وأن يكون حافظا أمينا على مصالح شعبه

فاطاع هؤلاء الاعضاء وابدى لهم اصلاحا شديدا . واظهر لهم نية خالصه صافية لاتكدرها الاغراض ولا تزعزعها الاهواء مهما اعتراها فى سبيلها

وشمر عن ساعد الجد فى سبيل الاصلاح . وجعل مدحت باشا ـ صدراً عظيما وسلمه مفاتيح الحكومه وجميع المبعوثين والاعيان والقى فيهم خطبة سياسيه جامعة عن سياسته المقبلة . فابتهج به نواب البلاد واستأنسوا بهذه الوعود ـ وفرحت الامه وظنت أنها قد بلغت اوج الكمال

وما هى غير بضعة أشهر حتى ضرب بالدستور عرض الحائط واوقف المجلس . واستبد بجمعيه تركيا الفتاة ـ وبحزب الاتحاد والترقى ـ واستخدم لخدمته جماعة من المتزلفين الضالين . الذى يعيشون بالوشايات ويجدون من هذا المرتزق خير باب يدر عليهم الرزق من غير تعب ولا عناء ... فهاج الشعب وماج فاشهر عليه حزبا عوانا . وما اكتفى بذلك بل قبض على معظم أعضاء مجلس المبعوثان وزجهم فى اعماق السجون ثم شردهم ونفاهم ـ واعظم جريمه له هى القبض على مدحت باشا ـ ثم نفاه الى الطائف ـ وأمر

باحراق قصره فى الاستانة . واخيرا أوعز بقتله فمات مخنوقا شهيد وطنيته واخلاصه

و يذكر له الاتراك من أثر مجيد غير انتصاره على اليونان، مع ان الفضل كله للمشير ادهم باشا . وأخيرا ادعى أن الامة لا تصلح بالدستور واستوتر عزت باشا . وبواسطه هذا الارهاب العظيم توطدت سلطة السلطان عبد الحميد فقبض بيد من حديد على أزمة الحكم

وحدث ولاحرج عن موكبه الفخم فى أيام الجمع والمواسم والاعياد . حيث يخرج من سراى (يلديز) يمثل العظمة والجبروت فى العربة الملوكيه الفاخرة تسير امامه جنود الحرس بملابسهم الفخمة بشكل يظن معه الناس أن هذا الجيش لاينتهى له عدد تصدح امام كل بلوك وآخر موسيقى عسكريه بالسلام الشاهانى ويجلس امامه فى العربة (المشير العظيم ادهم باشا) وتسير خلف العربة الامراء والعظماء فى رهبة وخشوع مكتفى الايدى مطأطىء الرؤوس ـ ثم تسير خلفهم قوة الجيش بملابسهم الوهاجه وسلاحهم اللامع الذى يكاد أن يخطف الابصار

وفى تلك الاثناء تعين الضابط ـ اليوز باشا محمد ناظم بك صاغولاغاسى فى الحرس الشهاني وآنس منه السلطان عبد الحميد

اخلاصا ـ ووجد فيه من الهيئة الساميه . والاخلاص الجميل ان يكون رافع التقارير السريه اليه ـ فكان هذا الضابط قرير العين مغتبطاً بمركزه الجديد

الفصل الرابع

(القلاقل فى الاستانه)

هال أمر السلطان عبدالحميد جمعية الاتحاد والترقى وجميع عضاء هذه الجمعيه من أعضاء مجلس المبعوثان ومن كبار رجال الجيش ... وكان السلطان عبد الحميد قد أراد فى هدم كيان هذه الجمعيه فدس الدسائس ـ وأوعز الى الصدر الاعظم كامل باشا أن يكون حزبا تساعده الحكومة والسلطان ويكون على اتصال — بالعرش تكون مهمته القضاء على جمعية الاتحاد والترقى ـ وفعلا اصرف من الاموال على هذا الحزب بما جعله قويا ـ وأخذ هـذا الحزب يعمل فى السر والجهر ـ اعمالا هائلة وهو يتسمى (حزب لاتحاد الحميدى)فكان شديد الخطر على جمعيـة الاتحاد والترقى. أ وأشاع هذا الحزب أن مواد الدستور لاتنطبق على أحـكام الشرع الشريف وحدا بالامه الى الرجوع للدين الحنيف من جهة القرآن الكريم ـ وأخذ هذا الحزب يندد على جمعية الاتحاد

والترقي حتى كاد أن يهزمهما - وأخذت الحكومه تناصر هذا الحزب في كل مكان حتى التف حوله فريق عظيم من أبناء الامه - وأعيان البلاد والوجهاء. وفي تلك الآونه قام حزب الاتحاد الحميدى بفتنة كبيرة في الجيش - وما هي غير عشية أو ضحاها حتى تمرد الجنود على ضباطهم - ووقفت في مناصرتهم كبريات الصحف في الاستانه - مثل ولقان . وسربستى وإقدام - وغير ذلك - وأكثر هؤلاء الجنود من طابور الصياده . والطابور الرابع من آلاى السادس - ففي ليله الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول - خرج هذا الجيش المتمرد الى ميدان السلطان احمد في الهزيع الاخير من الليل وهجموا على مساكن الضباط . واندفعوا الى منازل أعضاء جمعية الاتحاد والترقى - فهب سكان الاستانه من نومهم — وهم في حالة من الرعب على صوت الطلقات الناريه وضجيج الناس وأنين القتلى والجرحى

وأدرك الضابط محمد ناظم بك ما سيحيق بالامير ألاى عادل ذهنى بك . فامتطى صهوة جواده واعمل في خاصرتيه المهماز - فوجد الشوارع مزدحمة بالجند وقد عرفوا من ملابسه أنه من ضباط الحرس الشاهانى فلم يجسر أحد على الدنو منه حتى وصل الى قصر الامير ألاى عادل بك . فوجد النار قد التهمت هذا القصر ووحد

الآنسه وسيمه هانم محاطة بجماعه من الجنود فصرح فيهم وحولهم عنها . وجد جواد خاليا من راكبه فاركبها عليه وقال أسرعى حالا الى سراى يلديز لان حياتنا هنا فى خطر

فقالت — لقد قتل هؤلاء الرعاع والدى ووالدتى وقضوا على الخدم وأحرقوا القصر — ولو لم تحضر لنجدتى لكنت اليوم فى حاله لايعلم مصيرها غير الله تعالى

فقال — لايزعجك ماحصل . وأرجوك الاسراع والا فلا سبيل لخلاصنا

فصار معاوهماصامتان حتى وصلاالى القره قول الاول الذى احتل طريق القصر — ولما عارضه الحارس ولم يرد عليه اقترب منه وأعطاه كلمة المرور (التى يقال لها) (سر الليل) — فسمح لهما بالمرور . وما زال هذا الضابط المخاطر بحياته يجتاز بحبيبته المواقع الحربيه حتى دخل الى القصر — فوابج الباب الكبير — فاعطى كلمة المرور فعرفه الحرس فادوا له التحيه — فدخل وهو يحمد الله الذى الهمه المخاطره فكان سببا فى نجاة حبيبته

ودخل الى غرفته الخاصة به فى السراى . فارقد حبيبته على السرير . وكانت تنتفض من الخوف والرعب وفى الصباح استيقظت مبكرة فاتاها بملابس جديده . وسلمها الى الباش أغا وعرفه

أنها شقيقتهم

واتصل خبر هذه المذابح الى أعضاء جمعية الاتحاد والترقى فهبوا من سباتهم العميق — وقاموا فى الحال الى ارسال الرسل . فامسكوا بآلات التلغراف وارسلوا أحمد شكيب باشا الى محمود شوكت باشا وحسن حسنى باشا . .

وظلت الثوار من الجيش يعملون على التخريب فاوقعوا بضباطهم . وزحوهم فى أعماق السجون بعد أن جعلوا شوارع الاستانه مصبوغة بدماء القتلى وقد تكردست القتلى فى كل مكان كأن هذه العاصمه الجميلة قبلة الاسلام — ومهد الخلافه مسرحا للجرائم والاثام

الفصل الخامس

فتح الاستانه

ولقد كان أمارة الجيش الزاحف معقودة فى أول الامر — وقت وصول احمدشكيب باشا على حسن حسنى باشا — لان محمود باشا شوكت كان بجميع الجنود بالروملى — ويتأهب لفتح الاستانه ولما تكامل جيشه سار فى مقدمة الزاحفين وهاجم المدينه

ولما وصل الى سان استفانوا أمر حسنى باشا أن

يقوم بعمل منشورات يظهر فيها حقيقة الامر ويحض الاهالي على الطمانينه والهدوء — وطلب من هيئة الجيش المستقر فى الاستانه عمل كل ترتيب فى تهدئة الخواطر ـ وأن تكون هذه الهيئة على تمام الاستعداد للقاء وإعادة الضباط الذى اضطهدوا من أجل انتمائهم الى جمعية الاتحاد والترقى والذين فصلوا من خدمتهم باسباب الدسائس والفتن — وأن يقسم الجميع يمين الطاعة بالمحافظه على الدستور

وصدر منشور آخر الى أهل الاستانه مؤداه أن الجيش الزاحف لاغرض له غير أخماد نار الثوره . والقبض على من لهم يد فيها — وأن الجيش يؤمن الاهالى على ارواحهم وأموالهم وانه يتخذ خطة التعقل والرزانه . ولم يقصد أى عمل يكدر راحة الاهالى ـ وأول عمل قام به الجيش الزاحف أنه دعا أعضاء مجلس المبعوثان للاجتماع — ومنذ ذلك اليوم صار المجلس يعقد جلساته فى سان استفانوا تحت حماية الجيش الوطنى — وبعد ايام قليله زحف محمود شوكت باشا على الاستانه — وبواسطة قوة الجيش المحارب تحفزت جمعية الاتحاد والترقى لدفع الخطر

واول عمل فى هذا السبيل ـ ان محمود باشا شوكت اصدر

أمرهم باجتماع جميع الضباط فى النادى العسكرى بسلانيك وخطب
فيهم خطبة حماسيه بعثت فى نفوسهم كل معدات الشهامة والشجاعه
فقال أيها الابطال الشجعان أننا سنعمل عملا يخلده لنا التاريخ
وانى مستعد أن أموت فى سبيل الوطن ـ هيا اتبعونى وانا فى
المقدمه لنقتص من الجانى ونعاقبه .

وزحف جيش الحريه على الاستانه . وضرب فى ضواحيها
ثم دخلها عنوة واستولى أولا على أداوة البرق « التلغراف » ـ
والبريد ـ واحتل المواقع العسكريه ... وفى تلك الاثناء كان محمود
شوكت باشا يرسل منشوراته الى الولايات يذهب بها مخاوفهم ـ
ليبعد عنهم ماهم فيه من القلاقل والمزعجات . . . وفى هذه الاثناء
سكنت الولايات وباتت جميع الامم الاسلامية تنظر بفارغ
الصبر الى مآل الدوله العليه ـ وما يقوم به هذا البطل المخاطر بحياته

وصار جيش الحريه كلما انتصر على نقطه من نقط الدفاع
الاصلية يحتل موقعها احتلالا عسكريا منظما .. ويضع فيها الجنود
بما يلزمهم من المدافع ولوازم الزخيرة ومعدات الدفاع وبذلك احتل
جميع سكنات الاستانه . وأصبحت المدينة فى يده...وشهد جميع
قناصل الدول أن هذا الرجل العظيم أبسل قواد الارض . وأعظمهم
حنكة فى الشؤون العسكريه . والاصول الحربيه وصار جيش الحريه

المنتصر لايعمل عملا إلا بأمر يصدر اليه من جمعيه الاتحاد والترقي؛

ولما وصل شوكت باشا إلى سان استفانوا لحضور جلسة المبعوثان صرح علانيه أمام الجميع أنه خادم للجمعية وأنه ماقام بهذه الاجراآت الحربيه الا للمحافظة على الدستور

وقال في ذلك الحين القائد فوندر غولتزا الالماني ـ اذا أحببت أن أشبه محمود شوكت باشا ماوجدت له شبيها غير مولتكي محي المانيا الثاني

ولم ينته شوكت باشا من احتلال المواقع العسكريه الا بعد أن أزهقت أرواح الابرياء. وفقدت تركيا من جراء هذه الاغراض الساسية الوف الالوف من شبابها الناهض

وكانت الامة في ذلك الحين قد انقسمت الى شطرين الشطر الاول كان يؤاذر السلطان عبد الحميد ويقدر له سياسته الرشيده في حفظ كيان الدوله وسهره الدائم على رفعتها ليجعمها كالصرح المشاد من العظمة والمجد ـ على ضفاف الدردنيل ـ والبحر الاسود وبحر مرمره سيما مواكبه الفخمه وجيوشه الجراره في البر وأساطيله الحربيه الرابضة على الموانى والثغور

والشطر الثاني مالت به الاهواء. ولعب بشبابه الغرور فاعتقد أن عبد الحميد قد هدم مجد الخلافه واغتربا يعاز دولة الالمان التي كانت

تسعى فى هدم هذه الكتلة التى كانت تمثل عظمة الاسلام فى وسط اوروبا —

الفصل السادس

« احتلال قصر يلدز »

وفى وسط هذه المعركه الدموية الهائله وقف الحرس الشاهانى حول القصر الملكى « يلدز » يدافع عن خاقان البرين . وسلطان البحرين . خليفة الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها

وكان الصاغ — محمد ناظم بك أركان حرب الحرس وأخلص المخلصين لمولاه السلطان — وقف فى طليعة الحرس يدافع عن القصر وامر حراس الابراج بأطلاق المدافع اذا اقترب جيش الحريه من القصر .. وفى هذه الليله بعد أن أتم معدات الدفاع اجتمع بحبيبته وسيمه هانم فوجدها فى قلق وانزعاج وكانت قد سئمت المعيشه بين نساء القصر . وقد ازدحمت بمخيلتها الافكار خصوصاً مارأته من فظاعة جيش الثوار ألذى قتل والديها . وأحرق القصر ومثل بقومها أشنع تمثيل .. ولما رآها على هذا الحال — صاح بها — ويحك ياسيدتى ماهذا الشحوب الذى عراك . ولما أراك متغيرة — أمريضه أنت ؟ فقالت بفتور — لاياحبيبي . انما أشعر بانقباض

عظيم . واجد نفسي وحيدة بين هؤلاء . النساء ولا استطيع أن أطرد الحوادث المريعة التى رأيت فيها مصرع والدى . وقتل والدتى وفناء قومي واحراق القصر الذى درجت فيه

فعلم الضابط الشاب ماتعانيه حبيبته من حزن وألم فضمها الى صدره وقال ـ لاتحزنى ابداً ياحبيبتى . ولسوف تزول هذه القلاقل السياسيه . وتعود مياه الامن الى مجاريها فنطالب بالتعويض ورد أملاك اسرتك اليك ويكون لنا من ذريتنا خير خلف لاكرم سلف

ـ فقالت ـ هذا أمر فى المستقبل والمستقبل بيد الله. ولكن ماهى النتيجه التى تنتهى من وراء هذه الفوضى

أجاب ـ لابد من خلع عبد الحميد

فقالت ـ ومادمت تعلم ذلك فلما لا تسلم القصر للثوار . وشأنهم بعبد الحميد يعملون ماشاءت اهواءهم

فنظر اليها نظرة لطيفة وقال ـ لا احتمل عار التسليم . واعتبر أن هذا العمل هو منتهى الجبن والسفالة ـ ولا اسلم الا بعد النهايه الحاسمه

فقالت ـ وماذا تصنع بعد ذلك

أجاب ـ لانصنع شيئا غير ماجاءت به الاقدار . ومكثا

معا طويل ليلته يتحدثان فى أمور الدولة تارة . وفى أمر غرامها تارة أخرى حتى اشرق الفجر ـ وطلعت تباشير النهار فعادت بسيمه الى القصر لتستريح من السهر الذى عانته فى هذه الليلة .
وكان يسكن فى قصر يلدبز الوف عديدة من النساء والخصيان

وفى الصباح طلع الضابط محمد ناظم بك الى السور فوجد الجيوش تموج خارج الاسوار . ولاتستطيع الدنومنها
ووجد محمود شكوت باشا أن خير وسيلة للتسليم قطع اسلاك الكهرباء والغاز — وموسير المياه ومنع ادخال الطعام —

وبهذه الوسيله اضطر الحرس الى التسليم بعدأن استشاروا السلطان عبد الحميد بذلك — ودخل الجيش المحارب . جيش جمعية الاتحاد والترقى الى القصر . واستولى على كل شىء فيه وبات السلطان بكل حاشيته ـ والحرس فى أشد حالات الأسر لايستطيع أحد أن يأتى بعمل

الفصل السابع

خلع عبد الحميد

وفى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٩ ـ استصدر جمعية الاتحاد والترقى خلع أمر السلطان عبد الحميد الثانى من سدة الخلافة ـ

واسقطته من عرش آل عثمان بناء على فتوى شيخ الاسلام وهذه صورة الخلع

قرر المجلس الملى للحال المؤلف من مجلس الامه ومجلس الاعيان .من قبل المشيخه الاسلاميه أما بخلع عبد الحميد . أو بقبول تنازله عن العرش فقرر خلعه وتولية ولى العهد رشاد افندى باسم » محمد رشاد الخامس

ثم عين وفد مؤلف من ألامير عارف باشا ناظم البحريه سابقا ـ وآدام افندى ناظر ألزراعة سابقا ـ والقائد أسعد باشا مندوب أفلونيا وقاراسوا افندى مبعوث سلانيك ـ يذهب الى السلطان عبد الحميد بقصر يلديز لابلاغه أمر الخلع

ذهب هذا الوفد تحتاط به جماهير الامة وكان التصفيق له في الشوارع المزدحمة قد بلغ عنان السماء ـ ولما وصل ألى القصر الشاهانى دخلوا الى ردهة الاستقبال الكبرى ـ وطلبوا مقابله السلطان ـ فدخل عليه الضابط محمد ناظم بك ـ وقبل الارض أمامه وقال ـ لقد حضر لمقابله جلالتكم وفد الامه عن لسان جمعيه الاتحاد والترقى ـ فامتعض السلطان وارتعدت اطرافه وقال ـ ماذا يطلبون منى ؟... قل لهم يدخلوا

وكان السلطان جالسا على مقعد كبير ذو مساند عالية موشى

بالحرير الاخضر ـ ولما دخل الوفد عليه اعتدل قليلا وقال . ماذا تريدون ؟ فانحنى الوفد أمامه احتراما لهيبته ـ وتقدم أسعد باشا مبعوث افلونيا وقال —

ياصاحب الجلاله نحن وفد الامه وقد أرسلتنا لجلالتك لتبلغك أن الامه قد خلعتك من سده الخلافه وعرش الملك هذا كل ماكلنابه . ؟

فهلع السلطان هلعا شديداً وبكى بكاء الثاكلات حتى كاد أن يستبكى أعضاء الوفد وقال — كيف تقدم الامة على هذا العمل الشنيع وأنا الذى كنت أرهب دول العالم ببطشى . وأنا الذى انتصرت على اليونان .

ثم ابتهل اليهم أن يبقوا على حياته . وهو الخاقان العظيم الذى كانت ترفع أصوات الابتهال الى عرشه فوعدوه بذلك

وفى مساء يوم خلعه نقل على قطار خاص مع من اختاره من نسائه وخدمه — وكان من بين هذه الحاشيه الصاغ محمد ناظم بك والانسه بسيمه هانم

الفصل الثامن

فى المنفى

وصدرت الاوامر باعداد قصر الاتيني وهو من أفخم قصور سلانيك لاقامة عبد الحميد فى منفاه ولما وصل القطار المقل لهذه الحاشية لاحظ الصاغ محمد بك ناظم ان القطار الذى أقلهم هو القطار الرسمى الذى كان مخلصا لعبد الحميد ــ وأن العربه الملوكيه هى هى التى كان ينزل فيها ووجد امام عربته عربتان من العربات العاديه لنقل الحرس المخصص لحاميته وخلف العربه عربتان للحاشيه خلفهما عربتان للحرس

ولما وقف القطار فى سلانيك أصفت جنود الحرس . ونزل السلطان فادت له الجنود التحية ثم أركب فى عربة مقفله تتبعها عربات الحاشيه وقد سار الحرس فى مقدمه الموكب وفى مؤخره وعن يمينه ويساره حتى وصل الى القصر

قضى السلطان طريقه من الاستانه الى سلانيك صامتا لم ينطق بحرف ــ وكان خوفه على حياته يملأ فؤاده وتنم عليه مظاهر وجهه وارتعاش جسمه.

على انه بعد ان استقر به المقام فى القصر اللاتيني اطمأن على حياته . وطفق يتلاهى بصناعة نجارة الخشب التى كان يحترفها ويتعاطاها من عهد ملكه فى سراى يلدين أطاعة لمشورة أطبائه يرلتمن اعضائه... ولقد أتم مصنوعات جميله . وضع الا تحاديون

ندهم عليها بعد نقله الى سلانيك. واختار بعضها طلعت باشا الوزير ،
الاتحاد ووضعها فى بيته ، وكان يتباهى بها مفاخرا وهو يقول
هذه من صنع الخاقان المخلوع

وكان السلطان عبد الحميد فى منفاه يتلطب من نسائه وجواريه
ومن جميع افراد حاشيته معاملته بالاحترام فكانت معاملتهم له لا
فرق بينها وبين وجوده على العرش فى أبهة الخلافه.. ذلك الاحترام
الذى اعتاد فى (يلدز) فما كان يجسر احد ان يتمادى فى محادثته أو
يتمتع بحريه الجلوس فى حضرته

وكان حاد الخلق لايجرا أحد على معارضته فى اغراضه
وطلباته ...

وكانت الحكومه قد ارصدت الف ليره عثمانيه تنفق على
قصره شهريا. ؟ وكان هذا المبلغ كافيا لمعيشته فى حاله راضيه

وتعين الصاغ محمد بك ناظم مأمورا للصرف على القصر ،
ولم يذكر هذا الضابط المأمور فى طول المده التى قضاها فى سلانيك
انه السلطان عبد الحميد طلب مالا قط

الفصل التاسع

(نفسيه عبد الحميد)

واعتاد الاتحاديون ارسال الصحف والمؤلفات التركيه التى كانوا يطبعونها فى الآستانة لغرض ان يطالعها السلطان المخلوع ويرى، الخطوة الواسعه التى خطتها الجمعيه فى سبيل الاصلاح „„ غير ان السلطان لم يعرها التفاتا . وظلت هذه الصحف بغلافاتها واختامها كما ارسلت اليه ولم يقرأ منها حرفا .... وكان يقول للخادم الذى يدخلها عليه ـ لقد طلقت السياسة فلا أريد ان اطلع على حوادثها

وكان هذا السلطان ينزل فى مساء كل يوم الى حديقة القصر فيتمشى بها نحو ساعتين منفردا متنقلا من شجرة الى اخرى . وكان يداعب بيده أغصانها. واكثر ماكان اهتمامه بالاشجار فامر بالاكثار من زراعتها على انواعها.، اما فى فصل الشتاء كان يكتفى بالوقوف امام الشرفة المطلة على الحديقة حيث يكون البرد قارصاً. والمطر هاطلا مسرحا الطبيعة التى كانت كل آن تتشكل فى اشكال عديده .. ومن عادته لهوه فى المناظر التى كان مثابرا عليها انه كان يستيقظ كل يوم فى نحو الساعه الخامسه صباحا كما كانت عادته فى ايام ملكه فيخرج من غرفة نومه متدثرا برداء سميك من الصوف الناعم، والفرو البديع فيجلس على مقعد كبير أعدله امام الشرفه الكبيره المطلة على البحر فيتسلى برؤية الماء والسماء ويشاهد حركة البواخر السائره فى عرض البحر ويستقبل الشمس وهى مشرقة تطل من خدرها . فيدخل عليه خادمه

بطشت وابريق من الفضة فيتوضأ ثم يستقبل القبلة فيصلي صلاة الصبح — ثم يجلس على مصلا يتلوا اوراده .. ولما تصير الساعه السابعة والنصف يدق جرس الافطار فيذهب الى غرفة المائده فيتناول الفطور بين نسائه ومحاظيه وانجاله ثم يذهب الى غرفته الخصوصيه. فيستلقى على مقعد وثير من نوع الشازلون حتى تدق الساعه العاشره ينزع ذلك الرداء السميك ويذهب الى غرفة المصنع فيتلهى بصناعة الخشب وفى الساعه الواحده يعود الى غرفته فيرتدى ثيابه العاديه . ويدق جرس الغذاء فيذهب الى غرفة المائده يتناول الغذاء بين اسرته . . وبعد الغذاء يذهب الى غرفته فيستريح فى مقعده الوثير الى الساعه الرابعه فينزل الى الحديقه فيتلهى بالمرور بين الاشجار متنقلا هنا وهنالك الى الساعه السادسه مساء حيث يكون قد آن ميعاد العشاء فيتناول طعامه ويذهب الى غرفته فيتلهى بأى شيء يراد وفى الساعه الثامنه تماما يذهب الى غرفة رقاد فينام نوما هادئا الى الصباح

هكذا استطاع السلطان عبد الحميد ان يقسم وقته فى منفاه كأنه لم يكن ملكا عظيما ترهب سطوته الممالك والدول

الفصل العاشر

حوادث الحرب البلقانيه

وشاء الله ان يكون دوام الحال من المحال . لأن عبد الحميد ظل على هذه الحاله الهادئه التى قضاها فى سلانيك حتى اذما اعلنت الحرب البلقانيه التركيه سنه ١٩١٢ ميلاديه ـ صدرت اوامر الاتحاديون بنقله الى الآستانه خوفا من وقوعه فى أسر البلقانيين لانهم ما كانوا يجهلون الخطر المحيق بهذا الثغر الجميل

وعند ماوصلت الاوامر بنقله الى الضابط الصاغ محمد بك ناظم احتار هذا الضابط الامين الشجاع فى كيفيه إخباره به لان الاتحاديين حظروا عليه ابلاغه نبأ الحرب البلقانية مخافه ان يشمت بهم . فأتاه فى مساء الليلة الثانيه وهو فى حديقه القصر وادى له التحية العسكريه فسلم عليه بيده من غير ان ينظر اليه حسب عادته ، غير ان الضابط وقف . وماكان لأحد مهما امره ان يقف بقربه فنظر اليه مغضبا وقال ـ هل من حاجة ... ماذا تريد

فقال وقد اعترته هيبة امام هذا الخاقان العظيم وقال فى نفسه ـ يالك من مخلوق تسربل بالعظمة فسيان ان كنت ملكا أو انت خارج نطاق الحكم ـ ثم ترفع صوته ـ مولاى فنظر اليه مغضبا

وقال—قلت لك ماذا تريد •

وشعر الضابط كأنه وقع على السلطان حبل افكاره المتضاربه فقال—لقد صدرت الاوامر بعودة جلالتكم الى الآستانه

فأضطرب السلطان اضطرابا شديدا ظهر واضحا على محياه وقال—ويل لى . وويل لهم ماذا يريدون منى . فاذا كانوا قد شعروا باحتياجهم إلى فليعلموا ان ماافسدوه ماعدت قادرا على اصلاحه ولذلك فأنا ارفض الرجوع الى الاستانه، والى العرش ابضا

فلما سمع الضابط هذه الكلمات شعر بقشعريرة تدب فى جميع اجزاء جسمه وقال فى نفسه—اذا كان عبدالحميد لايقرأ الصحف ولم يحادثها بالسياسة ولا بأحوال السلطنه كل هذه المده الطويلة التي عاشرناه فيها فمن أين علم ان الاتحاديين أفسدوا أمور السلطنه وهم بحاجة الى صلاحها اللهم الا اذا كان مقتنعا بأنهم من مبدأ الامر غير أهل لأداره دفة سياستها . ومقرر لهم فى فكره الفشل،،، وكأنما أفاق الضابط من تخيلاته وأوهامه ولم يجب مولاه الا بقوله —ان الاوامر الصادره بعوده جلالتكم الى الاستانه نهائية وواجبه التنفيذ حالا

فهز السلطان عبدالحميد كتفه استهزاء وقال—ولا بد لى من الطاعة ولكن،،، هل تعاهدنى انلا خطر على حياتى

فقال الضابط — لولا ان حياة جلالتكم مضمونه فكون فى

اطمأنان وراحه بال •

فقال السلطان باستغراب ـ اذن لماذا يريدوا نقلى الى الاستانه؟

فأخذت الضابط الرأفة على هذا الخاقان المظيم وأشفق على شيخوخته واراد ان يفضى اليه بحقيقة الامر الذى من اجله صدرت الاوامر بنقله من سلانيك الى الآستانه . وفى هذا الوقت وهو عنده فرصه سانحه يستطيع ان يأخذ رأيه فى نتيجه الحرب البلقانية المقبله عليها الدوله العليه للاستفادة من خبرته الطويلة فقال له رغما عن الاوامر الصادوه اليه بشدة الـكتمان مولاى . ان دول البلقان قد أشهرت علينا الحرب . وخوفا من ان تستولى على سلانيك ، وتقع جلالتكم فى اسرها رؤى نقل جلالتكم الى الآستانه

فاصفر وجه السلطان عبد الحميد وارتجفت أعصابه وقال ـ ويل لهم ماذا تقول ؟... هل اجتمعت كلمة البلقانيين علينا ؟ ...

اجاب الضابط ـ نعم ياذا الجلاله

فتمم السلطان ـ الويل للاتحاديين يالهم من حمق قد استولى عليهم الطيش ، فانغمسوا فى تيار الاوهام

وسكت طويل كمن يسبح فى اوهام وآمال وتلك كانت عادته عند غضبه . وبعد هذا السكوت الطويل حرك أصابع يديه وأخذ يلعب بغصون لحيته ثم نظر الى الضابط وقال ـ ومتى هذا السفر

يابنى؟ اجاب الضابط فى هذه الليله ياذاالجلاله فتمم قائلا ـ نسافر انا الى الله وانااليه راجعون

الفصل الحادى عشر

العودة الى الاستانه

وفى نحو الساعه التاسعة من المساء وصلت فرقة من حرس الجيش الشاهانى، وصدرت الاوامر بالاستمداد ـ وحوالى الساعه العاشرة خرجوا بعبد الحميد واسرته فى سيارات مقفلة تحيط بها الجنود الى محطة السكه الحديد

وكان الضابط الصاغ محمد بك ناظم جالسا أمام السلطان المخلوع ويداه مكتوفتان احتراما وخطرت له وهو فى هذه الحالة عظمة عبد الحميد الساقطه فتساقطت الدموع من عينيه رغم ارادته، غير ان الظلام الدامس حال دون نظر السلطان لدموعه ـ ولو رآه على هذه الحاله لعظم كربه . لانه كان شديد الخوف على حياته خطرت لهذا الضابط ذكرى أيامه الغابره يوم كان ضابطا بسيطا برتبة الملازم ثانى فى الحرس الحميدى . كيف كانت عظمة هذا السلطان حينما يخرج من سراى يلديز الى الجامع الحميدى فى حفلات السلاملك . ايام الجمع والعيدين والمواسم السنويه .ويكون بين يديه فى عربته فى المحل الذى هو جالس فيه الآن ـ عثمان باشا

الغازى أكبر مشيرى الجيش العثمانية بملابسه الرسميه . وعلى صدره الاوسمه المرصعه وهو مكتوف اليدين مطأطىء الرأس . وكيف كان الصدور الوزراء والمشيرون وأكابر القـواد بملابسهم الرسميه ونياشينهم يمشون على أقدامهم من وراء عربته وهم مطأطئوا الرؤوس مكتفوا الايدى احتراماً لجلالته وكيف كانت صفوف الجنود تصطف لاخذ سلامه والموسيقات تصدح بشجى الانغام باسمه . وكيف كان والناس كالبنيان المرصوص يتهافتون لرؤيته والتمتع بمشاهدة عظمته وجبروته فى موسمهم الاسبوعى

كل هذه العظمه المحفوفه بابهة الخلافه خطرت لهذا الضابط النبيل فبكى على مجد ضائع وسؤدد لا يعود الى الابد فبكى وقال اللهم أعل من شئت . وكن لطيفا بخلقك . ولا تذل أحداً ...

وكان السلطان عبد الحميد فى طول طريقه صامتا ساكنا حتى اذ اوصلوا الى محطة السكة الحديد وكانت خالية من الناس تحتاط بها الجنود من كل مكان . أدخلوه فى عربه مخصوصة كانت تقدمها عربتان لجنود الحرس أو تتأخر عنها عـربتـان لحاشيته تتبعهم عربتان أخرتان لجنود الحرس ... وبعد مدة [illegible] صدرت الاوامر بالرحيل فصفرت القاطره و[illegible] وأخذ [illegible] الارض [illegible] فى طريق الاستانه

وعلى ضوء الانوار [illegible] نظر السلطان عبد الحميد

من نافذة العربة الى سلانيك وتمتم قائلا — من هذه المدينة ظهر عدائي وهي اليوم مهدده بالخطر وانها ضائعة لامحالة

تمتم السلطان هذه الكلمات رغم ارادته ثم كأنه خف أن يسمعه الضابط محمد ناظم بك فيشى به الى الاتحاديين فينتقمون منه . فنظر اليه باسما وقال — ماعرفت سلانيك ولكن لابد أن الاستانة أجمل منها

فاحنى الضابط رأسه احتراما وقال — نعم يا صاحب الجلالة ان الاستانه أجمل مدينة فى العالم بموقعها الجغرافى ولكن سلانيك أكبر ثغر تجارى فى السلطنه . وهنا سكت السلطان وجلس الضابط خاشعا محترما سكوت هذا العاهل العظيم

وبعد ساعه جائت بخيلة الضابط فكرة سياسيه يفاتح السلطان بها بحوادث الدوله ولكى لايترك فى نفسه أثر الخوف من تجسسة هذا بادره قائلا — مولاى — لقد صحبتمونى جلالتكم كل هذه المده فهل رأيتم مايريبكم بى

فقال السلطان لم ارشيئا منك ولا من خلافك لانشغالى بنفسى

فقال الضابط — ولكن هل اولاى أن يثق بى

فقال السلطان مادام لم يعد لى مطمع في الملك فاى فائده لى من ادقة بك او بسواك

فقال الضابط — أريد ياصاحب الجلالة أن أقف على أراء

جلالتكم الصائبه فى الحال التى نحن فيها فقال السلطان — أى رأى لى ياولدى وأنا أجهل كل ما جرى من بعدى

فقال الضابط — ولكن اذا وثق مولاى بأخلاصى لبلادى ان ماأريد أن استفسر عنه هو لمصلحتها وقبل مولاى ان يفصح لى عن شديد رأيه فى حاضر السلطنه ومستقبلها بعد ان ابين لجلالتكم حقيقة ماجرى يكون مولاى قد أدى أشرف خدمة الى السلطنة السنيه —

فأخذ السلطان يتأمل وجه الضابط بعينيه البراقتين ووجهه المكفهر وقال — أيصح لى بعد اليوم أن اثق بانسان

أجاب الضابط . ولكن ما يمنع جلالتكم أن تثق بى وتنيلنى امنية قد تنفع السلطنه

فقال السلطان — أم نفع السلطنة فلا أرجوه من هولاء المتغلبين عليها . ولكنى الى طلبك فافصح لك عما خبأته بصدرى طالما تعرض على اخلاصك ...وقبل كل شىء قل لى ما جرى فى السلطنه من بعدى قال الضابط — وهو فى سرور عظيم لثقه عبد الحميد به . ورضائه بمشافهته له بمكنونات سره بما سيكون له قيمة عظيمه للتاريخ — الآن يامولاى انا اعظم مخلوق على الارض

فسر السلطان وقال اعلمنى بما حصل يا بنى

فأخذ الضابط يسرد اليه ماجرى بعد خلعه وقال — ان الاتحاديين

بعد ان استتب لهم الامر بولايه اخيك محمدرشادوأخذوايعاونوه على تنفيذ ماحسبوه موطد لاركان الدوله العثمانيه وهوترك البلاد وغيرها من الاصقاع التى يستحيل التخلى عنها كبلادالعرب وغيرها لتكون مستعمرات لها.

فحملق عبد الحميد فى الضابط وقال — ويلك ماذا تقول ؟ هل أثار الاتحاديون المشاكل العنصريه فى السلطنة ؟ قال الضابط — نعم يامولاى

فقال عبد الحميد — هذا وحده يكفى لضياعها ويلهم الايعلمون ان العنصريه التركيه ضعيفه بالنسبه للعناصر العثمانيه الاخرى ومادنفها بعددها فقط بل وبعلمها وصنائعها وثروتها. فاذا كان أتراك الآستانه راقين بعلومهم فان لهم من فقرهم وارتكانهم على الوظائف فى سبيل معايشهم يجعلهم بغير حول ولاطول — اما اتراك الاناضول فهم أحط الشعوب العثمانيه ثروه وعلما فعلى ماذا يرتكن الاتحاديون باثارةثورة العنصريات أيجهلون اننا نحكم العرب وهم أهل مجد تاريخى نحن مغتصبوه منهم . ولولا جهلهم الذى جهدت بابقائهم فى ظلماته لما صبروا على حكمناوأدعائناالخلافةلحظةواحدة.وقسماً بالله الذى نفس عبد الحميد بيده لقد كنت أفرق من ثائر عربى فى بالجزيره يثوره بطلب الخلافة لعلمى ان العرب على حق ونحن على باطل أمرت ان يحذف من أحاديث البخارى حديث الخلافة

بقريش مادام فيهم اثنان لاتنسى العرب حقوقهم بها ولولا انقسام العرب على انفسهم واجتهادنا فى توسيع نطاق الخلاف بين زعمائهم ماحكمناهم يوما واحدا . فهل أيقظ الاتحاديون هؤلاء العرب .. أما الارامنه فهم أرقى شعوب السلطنه . واكثرهم ذكاء وهمة وكانوا يعملون على الاستقلال من عهد عمى عبد العزيز وقد أمرت بذبحهم ونهبهم بعد ان استوثقت من القيصر نقولا الثاني . والامبراطور غليوم الثانى وحسبت أنى بهذا كله استطعت ان اقضى على فكرتهم الاستقلاليه . ولـكن اتضح لى فيما بعدانى كنت مخطئاً لانى أثرت على ثائرة العالم المتمدين وأطلقوا على بحق اسم ـ السفاح الاحمر ـ فضلا عن الخراب الذى أورثته وقد تنبهت لخطىء ولـكن بعد فوات الوقت.وأردت ان اتلافاه ولكن لم استطيع فاذا انضم الارمن للعرب واتفقوا على تقسيم الدوله فالخطر محقق لامحالة ... أما الاكرادفهم قوه لايستهان بها فى ارمينيا . ولـكن يعوز العلم . ولانكران للحق انى أهملت تعليمهم خوفاأن يعرفوا انهم اخوان الارمن فينضمون اليهم على أنى أخطأت فى ذلك أيضا اذا كان فى استطاعتي تعليمهم واستقلالهم فى وقت معا . ولـكن أعود فأقول انى كنت أخاف تعليم الامم التى أحكمها لـكى لاتنتبه الى حقوقها المسلوبه المغصوبه فتنهض للمطالبة بها . أما الروم فانى أخافهم لانهم أقوى عناصر السلطنه

العثمانيه لقربهم من دولتهم اليونانيه . ولولا طمع روسيا فى الدردنيل والبسفور لافلتوا من السلطنه مع البلاد التى يسكنونها وعلى هذا فالحكمة كانت تقضى على كما قضيت على من تقدمنى وتقضى على من خلفنى بان يتحاشوا كل مايثير ثائر العنصريه فى السلطنة على النحو الذى اتبعته فى سلطنتى فقد كنت اتملق الى جميع زعماء العناصر بالرتب والاوسمة والاموال والوظائف مع ابقاء الميزه التى لابد منها للعنصر التركى من غير ان يشعر أحد . ولهذا السبب كنت أرى ضرورة السلطه المطلقه فى السلطنة العثمانيه لان الدستور الذى ينقل السلطة الى أمة كامتنا مختلفة العناصر والاديان ينبهها الى حقوقها . فيحدث من الشر ماحدث فقل لى بالله ياولدى ألم يحصل من سياسة الاتحاديين فى ترك العناصر ثورات داخلية ؟

أجاب الضابط ـ نعم يامولاى فقد قامت ثورة فى اليمن . وأخرى فى البانيا . وثالثة فى حواران ورابعة فى العراق وعملت الحكومه على اطفائها بالقوه . وقامت العناصر تطلب الامر كزية الواسعه . فتبسم السلطان وقال ـ هذا بدء الخطر على السلطنة وسوف لاتقف الامور عند حد اللامركزية بل الاقرب أن تنقسم الدولة العثمانيه الى ممالك وامارات . ولاسيما العرب الذين اذا مابدأوا يدركون بانهم أهل الخلافه وأهل الملك واننا مغتصبوا

مجدهم وانهم لا يرضون الا باستعادة هذا المجد

فقال الضابط هذا أمر محقق يامولاى

فقال السلطان — والمهم فى نظرى من السياسة الخارجيه فقل لى ماهو النهج الذى سلكه الاتحاديون من بعدى ؟

فقال الضابط — أن الاتحاديون كانوا فى بدء عهدهم يعيبون جلالتكم بترك صداقه (بريطانيا العظمى) والانضواء الى المانيا وقالوا أنكم قضيتم على استقلال السلطنة بسكة حديد بغداد وجملوا يتغنون « ببريطانيا العظمى » التى طالما دافعت عن استقلال تركيا منذ مئة وخمسين عاماً حتى الآن . وينادون بوجوب الانضواء اليها والارتكان عليها حتى تسير سفينة السياسة العثمانيه ولكنهم مالبثوا حتى تحولوا عن هذا الغرض بقوة ضباطهم الذين تربوا فى المانيا الى العوده لسياسة جلالتكم الحكيمة بالانضواء الى المانيا والجهر بعداوة انجلتره وفرنسا

وكان الضابط بهذا التصريح يظن أن عبد الحميد ليسر بما يسمع ولكنه على العكس رآه قد استاء وغضب وقال — وهذا ايضا مما يعجل باضمحلال السلطنة ومصيرها الى الانحطاط . ولا نكران للحق أن الخطأ الاكبر الذى ارتكبته فى عهد سلطنتى هو اغضابى « بريطانيا العظمى » تلك الدولة الكبيره الواسعة النطاق الذى امتد سلطانها الى أقصى المعمورة . والتى كانت

مصلحتها تقضى عليها بابقاء تركيا فى الوجود قوية سليمة ... نعم اخطأت كثيراً فى أغضاب بريطانيا العظمى كما أخطأ الاتحاديون من بعدى وسيرون نتيجة خطأهم عاجلا. فان بريطانيا العظمى دافعت عن سلطة آل عثمان مراراً وتكرار بنفوذها واسطولها وجيشها ولولاها لابتلعتنا روسيامن أمد بعيد. ولكن أواه من مشيرى السوء. والآن يانى أدركت مالم أدركه وقتئذ من صدق قول الانجليز لى بانى أعجز عن الاحتفاظ بحياد قناةالسويس .. نعم الآن أدركت ذلك. أمافى ذالك الوقت فقداغتررت بمواعيدغليوم الثانى العرقوبيه واستسلمت اليه وكانت النتيجة مذبحةالارمن التى لثمت سمعتى الى الابد ـ والحرب اليونانيةالتى خرجت منها منصوراً بالاسم. مقهوراً بالفعل. إذا تركت البلاد التى فتحتها وتقاضيت أربعة مليون ليره عثمانيه غرامة حربيه أنزلتهاروسيامن أصل دينها بعد أن أنفقت على تلك الحرب إثنى عشر مليون ليره وأضعت كريد وأخيراً أعطيت امتياز سكة حديد بغداد لالمانيا . هكذا لعب بى غليوم كما يلعب الصبيان بالاكره . وكانت تعزيتى الوحيده فى هؤلاء الاتحاديين بالرغم من سلبهم السلطه من يدى . أنهم انتبهوا لغلطى فاصلحوا ماأفسدت بعودتهم الى صداقه بريطانيا العظمى ـ ولقد زالت من صدرى هذه التعزيه بقولك لى أن غليوم الثانى تمكن من أعناقهم فقال الضابط ـ وهو غير موقن أن عبد الحميد

كان مخطئا باستسلامه لالمانيا . وأنه قد شعر بهذا الخطأ ـ مولاى ولـكن الاتحاديين يعولون على المانيا ويحسبون أنها تساعدهم

فقال عبد الحميد ـ وهل رأيتبامساعدتهم بشىء ؟

قال الضابط ـ لا

وكان القطار قد وصل الى الاستانه . فنزلنا مع السلطان فى عربات مقفله كانت تسير فى غاية التكتم حتى دخلنا القصر الذى أعدلنا

الفصل الثانى عشر

(تنبؤات عبد الحميد)

وظل السلطان على سكوته وعادته التى اعتادها إلى أن انتهت الحرب الطليانيه فدخل عليه الضابط وادى امامه التحيه العسكريه فنظر اليه السلطان باسما وقال هل من جديد يابنى ؟

فقال الضابط ـ نعم جئت اعلم جلالتـكم أن الحرب الطليانيه قد انتهت أمس

فقال السلطان ـ وكيف كانت نتيجتها

أجاب أن الطليان قد أغاروا على طرابلس الغرب وملـكوها

فقال عبد الحميد ـ اليست إيطاليا حليفة المانيا

لماذا لم يبادر غليوم الثانى حليفها عن الاعتداء على الدوله التى

استسلم له حكامها أجاب الضابط ـ هذا ماندهش له يامولاى فقال السلطان ـ لاتدهش يابنى فان المانيا من مصلحتها ضعف الدوله التركيه ليسهل عليها أستعمارها . أقول لك هذا وانا واضع هذه السياسه الخرقاء . فالذنب ذنبي ولا حول ولاقوة الا بالله .

فقال الضابط ـ واعلم يامولاى أيضاً أن دول البلقان قد أعلنت الحرب على الدوله أيضاً

فقال عبد الحميد ـ اعلم يابنى ـ أن البلقان ترتكن على انجلتره وفرنسا . ومادام الاتحاديون فى صف المانيا فهم مغلوبون لامحاله.. وأننى أعلم الناس بدول البلقان وتشاكسها . ولوكان الذى خلعونى على شيء من الحكمة لفرقوا بينها وماتركوها تجتمع على رأى لحظة واحده كماكنت أفعل أنا وماأتحدث عليهم الا بغفلتهم . ومما لا أرتاب فيه انها بعد أن تنهى مهمتها تعود فتنقسم على نفسها ويحارب بعضها بعضا . وقد يكون لدولتنا فائده من وراء هذا أنه من المقرر عندى ضياع الولايات البلقانيه الستة فى هذا الحرب وسوف تبقى الاستانه بيدنا بفضل طمع روسيا بها .. ورغبة بريطانيا العظمى أن لاتمتدلها أجنبيه كانت أوروسيه اورومانيه ولا تنتظروا أى مساعدة من المانيا فليس من مصلحتها مساعدتكم وأغضاب البلقانيين سمع الضابط هذا الحديث من مولاه ومر عليه بضعة أشهر . وكم كانت دهشته عظيمه عندما أنجلت الحرب البلقانيه على الشكل الذى أوضحه

تماما ـ فقال فى نفسه خساره انه سلطان لو عقل العثمانيون فعادوا اليه واهتدوا بهديه وبقى السلطان عبد الحميد فى الاستانه مدة الحرب البلقانيه وبعدها الى أن دخلت تركيا الحرب العامة . وكان السلطان غير مكترث لما يجرى وماكان يسأل الضابط مرة عن نتيجة الحرب البلقانية لانه كان يعتقد ان نبوته ستصدق أولا لانه ماعاد يهتم بما يجرى فى السلطنه زهداً فيها

غير أن الاتحاديين بعد أن خاضوا غمرات الحرب العامه أخذوا يفكرون فى أبعاد عبد الحميد عن الاستانه لتوقعهم الخطر المحدق بها ـ وبالفعل فى صيف ١٩١٥ قرر أى الحلفاء على مهاجمة الدردنيل وكان غرضهم من هذا الهجوم هو إشغال تركيا عن القوقاس الروسيه ـ ومصر وبالتالى خطر لهم أنهم لو تمكنوا من احتراقه واحتلوا القسطنطينيه لفصلوا بين تركيا والمانيا فصلا كان من مصلحة الاتراك أكثر منه من مصلحة الحلفاء أنفسهم لانهم بذلك يعود لهم مافقدوه من رشد وعقدوا الصلح وآمنوا على دولتهم

الفصل الثالث عشر — أبعاد عبد الحميد عن الاستانة

وفى بدء الهجوم على الدردنيل صدرت أوامر الاتحاديين بابعاد عبد الحميد الى بورصه ـ فذهب الضابط محمد بك ناظم الى السلطان . وكان فى غرفته التى خصصها للنجاره مهتما بزخرفة خزانه

على غاية من الابداع — فلما رآه قال له — هل من سفر جديد

فأدى له التحيه باحترام وقال — نعم يا صاحب الجلاله

فقال — وهل اشتبكت الدوله بحرب اخرى والخطر احدق بالاستانه

أجاب — الامر كذلك يامولاى

فتاوه السلطان وقال ويل للعثمانيين من هؤلاء الحكام السفهاء.

ثم مال على الضابط وهمس فى أذنه — هل عادت الدوله البلقانيه لحاربتنا

فقال الضابط — كلا يامولاى . بل نحن نطمع باسترجاع ما فقدناه فى تلك الحرب · وبعدها نطمع باسترجاع مصر وفتح القوقاس . وربما امتد سلطاننا الى ماوراء ذلك

فقال السلطان — ويلك ماذا تقول — هل تمزح

أجاب — الضابط — لا بل أنا مجد فيما أقول يامولاى فقد أستعرت نيران الحرب العامة فى اوربا

فانذهش السلطان وقال — بالله — ومن هى هذه الدول التى تتحارب

أجاب — المانيا والنمسا ضد روسيا وفرنسا وانجلتره

فقال السلطان — ولماذا لم يغتنم الاتحاديون فرصه هذه الحرب ويتدللون على الفريقين المتحاربين لينالون المنافع الكثيره

أجاب الضابط ماهذا رأى الاتحاديين ولكنهم لثقتهم بالمانيا

ا نضموا اليها

قال السلطان وبل لهم هل اقدموا على محاربة بريطانيا العظمى ؟

اجاب الضابط — نعم

فقال السلطان وهل يطمعون وهم يحاربونها ببقاء أثر اسلطنتهم

اجاب — بل هم يطمعون بتوسيع ملكهم

فقال السلطان — هكذا الله يسلب عقول الناس ليضيعوا مابايديهم فاعلم يابني انى لاارجوا لهذه الحرب نتيجة لتركيا غير الفناء العاجل

فقال الضابط — مولاى — ولكن — انور وطلعت واصحابهما يجزمون بان المانيا لاتقهروانها وعدتهم بتجديد مجد الدوله

فتبسم السلطان وقال — أن المانيا لاتقهر فذلك وهم اغتربه كثيرون ولكن لاأحد يعرف ما هى بريطانيا العظمى . و ما هو مبلغ قوتها وكم هو جلدها وصبرها . وحزم رجالها . فبريطانيا العظمى ذو بحريه . ولكنها قد تخلق من العدم جيشا بل جيوشا جرارة وانها بفضل ذكاء حكامها وذوى الرأى فيها ستغلب المانيا وتخرج من هذه الحرب ظافرة . وتسود على العالم اجمع واعلم يابنى . ان الذين لايقهرون فى هذه الدنيا ثلاثة — سداد الرأى — ووفر المال — وكثرة الرجال — فهل تجد هذه المؤيدات الحربية فى

غير بريطانيا العظمى ؟... أما وعد المانيا للاتحاديين فلا يعول عليه عاقل لان هذه الدوله اشتهرت بنكس عهودها من أقدم تواريخها فلا يثق بها الا المجنون فقال الضابط ـ وما الرأى فى روسيا

أجاب السلطان ـ أن روسيا فى داخليتها شر من تركيا فهى ستشتغل بالنمسا والمانيا عنا ثم تعود فتشتغل بنفسها ولا أحسب أن حكم القيصر يثبت فيها الى نهاية الحرب لان الروسيون نازعون للثورة ضد العرش وهنا مال السلطان على مقعد وقال لقد نسيت نفسى بعد أن فاجأتنى بهذا الخبر المزعج فاما بعد اليوم فقد صرت اتمنى الموت حتى لاأرى بعينى ماقدره الله على دولة آل عثمان واعلم أن ضميرى سيوبخنى طويلا لاننى اهلكت نوابغ رجال الدوله فحكمها فتيانها السفهاء فانعنى الى نفسى وانعنى الى الناس

ثم سكت فسكت الضابط هيبة له

وفى هذه الليلة نقل السلطان عبد الحيمد الى بورصة بجميع اسرته ومحاظيه وخدمه وحشمه

الخاتمه

ولما وصل عبد الحميد الى بورصة ظهرت عليه دلائل المرض فصارت تنحل قواه يوما بعد يوم واصبح لاينام الا غراراً وكان ينهض من فراشه مذعوراً ويقول ـ انا اضعت الدوله وذهبت بعظمتها ثم يجول فى الغرفة ويعود الى فراشة وينام وهكذا

وعندما شعر بقرب وفاته استدعى الضابط محمد ناظم بك وقال له — اعلم يابنى انك انت الشخص الوحيد الذى أكتسب ثقتى بعد ماتركت العرش فبحت لك بعالم ابح به لسواك وانى مائت لا محالة واراني بعد موتى ان يساربى الا الاستانه . وادفن بجوار جدى السلطان محمود واذا كانت لديك جرأة فباسطاعتك أن تعلن عنى باننى أخطأت فى مملكتى ثلاث خطيئات هى التى أفضت الى ضياع السلطنة - أولها . اهلاك الرجال الاقوياء الذين تعتمد عليهم الدوله . وافسحت المجال لفتيانها الاغبياء فركبوا بها هذا المركب الخشن — والثانيه اننى تركت تقاليد أسلافى وأغضبت بريطانيا العظمى — والثالثه أننى أستسلمت الى المانيا الشريره وربيت معظم قواد جيشى بين احضانها . . أعلن هذا ياولدى فى طول البلاد وعرضها لعلى أجد رعيتى من يعفو عنى ويطلب لى الرحمه

وبعد هذا لم ينطق السلطان بحرف الى أن توفاه الله فبلغ الضابط خبر وفاته الى الاتحادين واعلن لهم وصيته فنفذوها ودفنوه بجوار جده كما أراد رحمه الله تعالى

وبعد ذلك ذهب الضابط محمد ناظم بك مع حبيبته بسيمه هانم فقطن بها فى قصره الفخم على ضفاف البسفور وتزوج بها فى حفلة باهره — وعاشا على أحسن حال وأنعم بال

تمت